تعلمت من يوسف عليه السلام

تلخيص

المحاضرة الثالثة عشر

وتحقق الحلم – أمنية يوسف

المقدمة

في مشهد مهيب ومؤثر من سورة يوسف، يقول يعقوب عليه السلام:

{ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ } ، وهو مشهد يعجز العقل عن تخيله، إذ يجد يعقوب ريح يوسف رغم بُعد المسافة – قيل إنها ثلاثة أيام – فور مغادرة القافلة أرض مصر.

هذا الإحساس ليس حسيًا فقط، بل هو إحساس روحاني، وفراسة قلبٍ صادق امتلأ شوقًا ويقينًا.

كلمة { لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ } تُظهر تردده في الإفصاح عن إحساسه خشية اتهامهم له بالوهم والضعف العقلي نتيجة كِبَر السن، وهو ما حدث بالفعل، إذ ردّوا عليه بقسوة: { تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ } ، في إشارة إلى ظنهم أنه ما زال يعيش في أوهامه.

- لكن يعقوب عليه السلام لم يرد، بل صبر حتى على جفاء أولاده، منتظرًا الفرج من الله. وهذا من رحمة الله بعبده المؤمن، إذ يرسل له نسائم الفرج قبل تمامه، تباشير تسري عنه وتسكن قلبه، مكافأةً على صبره وثباته في المحنة، كما في قوله تعالى: { إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ } .

- هذا المشهد يكشف عن علاقة الأرواح بين الأحبة، التي تتجاوز المسافات. فالأرواح تتلاقى وتتحسس القرب حتى لو لم تلتقِ الأبدان. ولذا فإن يعقوب وجد ريح يوسف، بينما إخوته لم يشعروا بها رغم وقوفهم أمامه.

كلمة " لَأَجِدُ " بدلًا من " لأشم" تعكس الشوق والحنين، وكأن ما وُجد شيء عزيز طال انتظاره. وكما يُقال: للأمل رائحة، وللفرج عبير، لا يشمه إلا من كان واثقًا بالله، حسن الظن به.

ومن الدروس :

- إن نسائم الفرج تسبق تمامه، وهي تَسرّ القلوب المتعبة.

- كلما زاد إحسان الظن بالله، زادته البشريات.

- الأبوان يحسان بأبنائهما حتى من بعد، في مشاهد نعيشها جميعًا؛ أم تستيقظ من نومها فتنقذ صغيرها، أو تتصل بابنها لشعور غامض فتجده في كرب.

والفارق بين الإخوة والوالدين جليّ: إخوته لم يشعروا بريحه رغم قربهم، ويعقوب وجده من مسافة بعيدة. لهذا، يُوصى الأبناء ألا يبتعدوا عن آبائهم، وأن يزوروا والديهم ولو ليتنسّموا "ريحهم"، تلك الريح التي تؤنس القلب وتنعش الذاكرة.

بل إن الأم قد تشم حفيدها فتقول : "ريحته زي ريحتك وإنت صغير" ، وتحفظ تلك الرائحة في قلبها سنوات طويلة.

رفقًا بقلوب الوالدين، فهما لا ينسَيان أولادهما أبدًا، ولو بعد حين.

ومن تأملات المشهد أيضًا :

أن أقسى ما يمر به الوالد أن يُسفّه شعوره أو يُتّهم بالهذيان.

أن يعقوب صبر ولم يرد على هذا الجفاء، بل ظل يحفظ العلاقة ويصبر، حتى عادوا نادمين: { يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ } .

رسالة للآباء : اصبروا على أبنائكم مهما ضلوا، فالأصل الطيب سيعود. المهم أن يجدك ابنك حين يعود.

ورسالة للأبناء : لا تقلل من والدك في كبره، ولا تُشعره أنه بات لا يفهم. حتى إن احتاج أن تكرر له الكلام، افعل ذلك بلطف. لا تحرمه من احترامه ووقاره. فإن قسوة الكلمة تؤلم الوالدين أكثر مما نتخيل.

مشهد تأملى للبشارة واللقاء في قصة يوسف عليه السلام:

قال تعالى: { فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ } .

يا الله ! ما أعظم هذا المشهد ! مشهد البشارة والفرج، حين جاء البشير – الذي استعجلوه خصيصًا – يحمل قميص يوسف عليه السلام ليبشر يعقوب بعودة يوسف وبنيامين وسلامة باقي الإخوة. ويقال إن الذي جاء بالقميص هو الأخ الأكبر (روبيل أو يهوذا) الذي جاء أولًا بقميص الكذب، فعاد الآن بقميص الفرج تكفيرًا عن ذنبه، وكأن القدر أراد أن يُتم التوبة بإكمال الطريق حتى آخره.

وبقلب الأب الملهوف، يُلقى القميص على وجه يعقوب فيعود له بصره، وتعود إليه الروح بعد طول الحزن. وهكذا جاء الفرج من كل الجهات : يوسف عزيز مصر، بنيامين معه، والأخ الأكبر عاد، وانتهت المجاعة، واجتمعت الأسرة، وانقلب الحزن فرحًا، والدمع سعادة.

ما أجمل عاقبة الصبر والتقوى!

وما أعذب ثمرة الشكوى لله وحده! إن الذي جاء بقميص الدم هو ذاته الذي جاء بقميص الفرج، فلا تفقد الأمل في أحد، فالأبناء يتغيرون، والبشر يتبدّلون، وقد يكون من آذاك بالأمس سبب فرحك غدًا.

ومن أعظم ما نتعلمه من المشهد :

فضل نقل البشريات ؛ فلو لم تكن صاحب الفضل نفسه، فكن ناقلًا له، فما أجمل أن يُفرح الإنسان قلب أخيه بخبر طيب.

في المقابل، كم هو مؤلم أن تنتشر بيننا الأخبار المحبطة ولا نحرص على بثّ الأمل!

ثم حين قال يعقوب لأبنائه: { أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ } ، كان ذلك نابعًا من يقين عظيم بفرج الله، وثقة مطلقة في حكمته ورحمته، وعِلم الأبناء وقتها قدر والدهم، فانكسروا وطلبوا الصفح.

قالوا: { يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ}

فقال يعقوب: { سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ }

وهنا وقفة :

- يعقوب لم يعاتبهم، لم يذلهم، بل استجاب فورًا وكأن تلك اللحظة كان يتمناها منذ سنين. ومع هذا، قال "سوف"، ولم يقل "الآن"، إذ أراد أن يدعو لهم في وقت السحر، وقت المناجاة والسكينة، كما قال المفسرون. وهذا يبرز فضل الاستغفار بالأسحار، وقد أثنى الله على المستغفرين في ذلك الوقت: { وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} .

- وفي هذا أيضًا فضل طلب الدعاء والاستغفار من الصالحين، وخصوصًا من الوالدين، فدعاؤهم مستجاب. ومن العجيب أن سيدنا عمر طلب من أويس القرني أن يستغفر له، اقتداءً بما أوصى به النبي ﷺ، حين قال: "إن استطعت أن يستغفر لك فافعل".

- ومما يجب التحذير منه أن دعوة الوالد على ولده مستجابة، لذا لا تدعُ على أولادك مهما ضايقوك، بل قل: "اللهم اهده، أصلحه، تب عليه"، فإن الله يُجيب.

- ثم يأتينا المشهد الأعظم: { فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ }.

يا لها من لحظة! لحظة اللقاء والحنين والانتصار والدموع. { ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ } كلمة اختصرت كل العناق، وكل البكاء، وكل الشوق والذكريات. وقد ورد أن الملك نفسه خرج لاستقبال يعقوب عليه السلام، ومعه رجالات الدولة، في موكب عظيم، يُكرّم فيه نبي الله الذي صبر، وشهد فيه الناس عاقبة التقوى والثبات.

{ ءَاوَىٰٓ } تختصر أحضان السنين، ودموع الغياب، وحنان الأم ووقار الأب. وإن قيل إن الأم قد ماتت، فإن الراجح أن { أَبَوَيۡهِ } تشمل والديه معًا، ولا دليل قاطع على خلاف ذلك.

- هذا المشهد هو ذروة القصة، ولحظة تتويج الصابرين، وتمام الفرج بعد طول البلاء. إنه ربيع القلوب لمن تدبر، ودواء للهموم لمن تأمل.

من تدبر هذا المشهد، شعر وكأن الفرج قريب، وأن الصبر لا يضيع، وأن الحزن سيمر.

فهذه المشاهد القرآنية ليست مجرد قصة، بل هي شفاء لما في الصدور، ونورٌ وهدى وسلوى لكل مهموم ومحزون.

تأملات في لقاء الكرامة ومشهد العرش والبشارة:

في قوله تعالى: { ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ }

تتجلى رفعة الأدب النبوي في يوسف عليه السلام؛ فمع كونه عزيز مصر، لم ينسب الأمان إلى سلطته أو مكانته، بل أرجع الأمر كله إلى مشيئة الله، قائلاً: { إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ } لم يتكبر بقوله: "أنا سأؤمنكم"، بل تواضع لله واستشعر أن الحفظ الحقيقي لا يكون إلا بإرادته، فربما تهيأت كل الأسباب ومع ذلك يقع البلاء، كما حصل ليعقوب حين ضاع يوسف رغم كل حرصه عليه.

ثم جاءت الآية التالية تكريمًا يفوق الوصف: { وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ } .

فما أجمله من مشهد ! يوسف يرفع والديه على عرش ملكه، في مشهد يجسّد البرّ، والإكرام، والعرفان. وفيه درس عظيم:

- إذا زارك والداك، فأظهر اهتمامك بهما، لا تُشغل عنهما بهاتف أو دنيا، بل اجعل اهتمامك بهما واضحًا ومُعلنًا. { وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ } ليست فقط فعلاً، بل رسالة تقول : اجعل والديك في عرش اهتماماتك، لا تتعالى عليهما مهما علت درجتك.

- وفي المشهد مزيد من التواضع النبوي: يوسف عليه السلام بلغ قمة الملك، ومع ذلك ما زال يخاطب والده بـ { يَٰٓأَبَتِ } ، بنفس اللفظ الذي كان يقوله صغيرًا. ما أجمل الثبات على الأدب، والوفاء في الخطاب، مهما ارتفعت المناصب وتغيرت الأحوال.

{ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ } :

وكان السجود آنذاك علامة تكريم وإجلال، لا عبادة، كما سجدت الملائكة لآدم بأمر الله. وكان هذا السجود مشروعًا في الشرائع السابقة، لكنه في الإسلام نُسخ، فلا سجود إلا لله. والنبي ﷺ أشار إلى عظمة حق الزوج على زوجته، ومع ذلك لم يبح السجود له.

وهنا، تتحقق رؤيا يوسف التي رآها في بداية القصة: { يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ }

فقال عند تحققها: { وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا }

- وفي قوله هذا أدب رفيع، حيث نسب تمام الرؤيا لله تعالى، فقال: { قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا } ، مشيرًا إلى أن الرؤية لم تكن مجرد حلم بل وعد رباني تحقق بكرم الله.

ومعنى " تَأْوِيلُ " هنا ليس التفسير، بل تحقق الرؤيا في الواقع.

فكلمة التأويل تُستخدم إما بمعنى التفسير، أو بمعنى تحقق الشيء فعليًا، كما في قوله تعالى: { هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ } أي تحقق وعده.

ثم قال: { وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ }

فلاحظ كيف نسب كل الخير لله: { أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ } ، ولم يقل " أدخلني" تأدبًا، رغم أن السجن كان مقدمة للتمكين، لكنه عدّه ابتلاء لا يُنسب لله.

وفي { وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ } ، إشارة إلى نعمة الاجتماع بعد الفرقة، ونعمة الانتقال من حياة القسوة في البادية إلى سعة العيش في الحضر، حيث الرقة ولين الطباع. فالنبي ﷺ قال: " من سكن البادية جفا ".

- وفي ختام المشهد، تتجلى الرابطة الخاصة بين يوسف وربه، حين كرّر كلمة " ربي" في قوله: { قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ }

- تلك العلاقة الروحية العميقة بين يوسف وربه، هي ثمرة تربية يعقوب عليه السلام، الذي كان يربط يوسف بالله منذ صغره، كما قال: { وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ }

- وفي ذلك تعليم لنا أن نربط أبناءنا بالله مباشرة، ونعلّمهم أن كل خير إنما هو من الله، وكل شر من الشيطان.

رسائل تربوية مستفادة من هذا المشهد العظيم:

- تأدب مع الله في النسب، فلا تنسب الشر إليه ولو كان فيه خير ظاهر.
- لا تُسند الفضل إلى نفسك، بل قل " ربي أحسن بي ".
- عظّم والديك مهما بلغت من رفعة، واجعل لهما الأولوية دائمًا.
- حافظ على الألفاظ الرقيقة مع والديك، وابقَ في عيونهم "الولد المدلل".
- اطلب من الصالحين الدعاء، ولا تستكبر عن سؤال الاستغفار، فهو سنة الأنبياء.

عِش مع القصص القرآني، فإن فيه ربيع القلب ودواء الهم.

تأملات إيمانية في مشهد اللطف والكرامة مع يوسف عليه السلام

حين قال يوسف عليه السلام: { وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ } ، يتجلى روعة الأدب النبوي في التعامل مع ماضٍ مؤلم دون عتاب أو تجريح.

فمع قدرته على التذكير والإدانة، اختار يوسف أن لا يحرج إخوته، فنسب ما حدث للشيطان، بل بدأ بنفسه في الترتيب { بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ }، ليدفع عنهم الحرج ويعزز رابطة الأخوة التي عفا الزمان عنها.

لقد تعلّم من أبيه يعقوب عليه السلام هذا الخلق، حين قال له: { قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ } .

- فأدرك أن العدو الحقيقي هو الشيطان، لا الإخوة، إذ يمكن أن يتوبوا، لكن الشيطان لا يتغير.

الفائدة : كل من يسعى للتفريق بينك وبين إخوتك هو شيطان، فلا تتبعه.

ثم قال : { إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ } ، وهي كلمة تمتلئ بالسكينة، فاللطف هو أن يدبر الله لعبده من الخير ما لا يدركه ولا يشعر به، من خلال طرق قد يكرهها، لكنها تحمل في طياتها أعظم المنافع.

وهنا تظهر أعاجيب اللطف الإلهي في قصة يوسف :

- الجبّ الذي أُلقي فيه كان خلاصًا من الحسد.
- بيعه رقيقًا فتح له باب التمكين.
- السج ن كان طريقًا إلى المُلك.
- مكر الإخوة صار سببًا لفشلهم وتحقيق رؤياه.
- القحط الذي أصاب البلاد صار سببًا في جمع الشمل والرخاء.

فاللطف معناه : إحسان خفي في مواضع لا تُتوقع، والله لطيف بعباده، يرزقهم من حيث يحتسبون ومن حيث لا يحتسبون، بل من حيث يظنون أن فيه ضررًا، فإذا به عين النفع والعطاء.

ثم يُقال لنا: تأمل حياتك أنت الآن !

ستجد مواقف كنت تظنها شرًّا، فإذا بها كانت سببًا للخير، كم من كلية التحقت بها مجبرًا فكانت خيرًا، أو مرض أصاب أحد أبنائك فكان بداية فرج، أو عمل رفضته ففتح لك بابًا أعظم.

بل كل ما أدركته من اللطف نقطة، وما خفي كان أعظم.

قاعدة جميلة : " كم ساق اللطيف من خيرات على بساط الابتلاءات "

وكم كانت النهايات المشرقة تُولد من بدايات محرقة.

فلا تيأس من شدة، فإن وراءها لطفًا إلهيًا خفيًا.

ثم قال يوسف: { إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ } ،

هاتان الصفتان هما ما تعلّمه من يعقوب عليه السلام منذ صغره:

{ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ }

- فكان دائمًا يوقن أن وراء كل شيء علمًا لا يُدرَك، وحكمة لا تُخطئ، فالله لا ينسى، ولا يضع شيئًا في غير موضعه.

ثم انفرد يوسف عليه السلام بربه، وبدأ دعاءه الخاشع :

{ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ }

وهنا تظهر قمة التواضع والشكر، فهو يُنسب الفضل كله لله، في مقابل من قال: { إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي }

فهذا هو درب الأنبياء، كما قال سليمان : { هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي } .

ويُكمل يوسف دعاءه بكلمات تمتلئ بالخشوع والود :

{ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ }

أي : الخالق على غير مثال سابق، صاحب القدرة والحكمة الكاملة.

{ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ }

أي : أنت وحدك من يتولى أمري ، ويقودني بلطفك، ويؤنس وحدتي، ويجبر كسري، ويحميني في الدنيا ويرزقني حسن الخاتمة.

ثم يختم بدعاء رقيق صادق:

{ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ }

كأنه يقول : بعد كل ما مررت به من شدة وفرج، لا أريد إلا أن ألقى الله مسلمًا ثابتًا، في صحبة الصالحين.

تجميع لهذه التأملات الإيمانية من قصة يوسف عليه السلام :

- لا تعاتب من أذاك، بل انسِب الفُرقة للشيطان.
- أدِّب لسانك كما أدّب يوسف لسانه، حتى في أصعب المواقف.
- ثق بلطف الله في كل لحظة، حتى في مواطن الألم.
- نسب الفضل كله لله، وقل دائمًا: " ربي هو الذي أحسن إليّ ".
- استعن بالله على فهم ما لا يُفهم، وارضَ بقوله: " إنه هو العليم الحكيم ".
- واجعل دعاءك ختامك: " توفني مسلمًا، وألحقني بالصالحين ".

تأملات في ختام قصة يوسف عليه السلام : بين اللطف الإلهي وحسن الختام

بعد أن اجتمع شمل يوسف بأهله، ارتفعت كلماته إلى الله تعالى في دعاء مؤثر ختم به قصة مليئة بالابتلاء والتمكين، فقال:

{ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ }

أولاً : قلبٌ معلّقٌ بالله فى كل حال

يوسف عليه السلام كان دائم التعلّق بربه، يردد " ربي " في كل موضع :

- في السجن : { رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ }
- في الملـك : { رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ }
- في الدعاء : { أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ }

- هذا قلب لا يغتر بالنعم، مهما كثرت، ولا يتعلّق إلا بالله، ولو اجتمع حوله الأهل والعزوة، فيعترف أن الله وحده هو الولي والناصر والمدبر، لا الناس.

فائدة : إذا تكاثرت عليك النعم، فلا تغتر بها، فالزوال ممكن، والثبات لا يكون إلا بالشكر والفقر إلى الله.

ثانيًا : طلب أعظم الأمنيات

في قمة المجد والعافية ، سأل يوسف عليه السلام الله أعظم سؤال :

{ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ }

هذا الدعاء يكشف قمة التواضع والافتقار، فبعد حياة ملأى بالصبر والنصر، كانت أمنيته فقط أن يثبت على الإسلام حتى الممات، وأن يُلحق بالصالحين، حتى وإن كان آخرهم.

فائدة: لا أحد يضمن الخاتمة، ولو طال صلاحه، فالثبات حتى الموت منة من الله.

كان من دعاء النبي ﷺ:

" اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك " .

" اللهم يا ولي الإسلام وأهله، مسكني الإسلام حتى ألقاك عليه " .

تنبيه : يوسف عليه السلام لم يتمنّ الموت، بل طلب حسن الختام عند حلول الأجل.

أما تمني الموت فمحظور، إلا من خاف الفتنة على دينه، كما في الحديث :

" وإن أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون " .

ثالثًا : ثمرة القصة ودليل النبوة

يقول تعالى:

{ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ }

هذه الآية تكشف أول ثمرة من ثمرات القصة ، وهي:

أنها دليل على صدق نبوة النبي محمد ﷺ، إذ أتى بهذه القصة الكاملة بتفاصيلها الدقيقة رغم أنه لم يكن يقرأ أو يكتب، ولم يتلق العلم من أهل الكتاب، ولم ينكر أحد منهم هذه القصة أو اعترض على سردها، بل وافقوها.

وهكذا أيضًا في قصص مريم وموسى وسائر الأنبياء، دلالة قاطعة على أن المصدر الوحيد هو الوحي.

رابعًا : المكر لا ينفع أصحابه

في قوله تعالى:

{ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ }

بيان أن اجتماع أهل الباطل على المكر لا يضر أهل الإيمان، فالله تعالى يبطل كيدهم، ومكرهم لا يصيب إلا أنفسهم.

ويمكرون ويمكر الله، والله خير الماكرين.

يوسف عليه السلام خرج منتصرًا من كل مكر، بينما أخوته لم يحققوا شيئًا مما أرادوا.

وكذلك قوله ﷺ :

" واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك " .

خامسًا : لا تغتر بالكثرة، ولا تزدري القلة

قال تعالى:

{ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ }

تسلية للنبي ﷺ، وتثبيت له في مواجهة الصدود، فالهداية بيد الله وحده.

وسنة الله أن القلة هم أهل الحق، والكثرة ليست معيارًا له.

فائدة :

- لا تقيس الحق بالكثرة، فما انتشر لا يصير صوابًا إن كان باطلًا.
- الحق حق ولو قلّ أهله، والباطل باطل ولو كثر أتباعه.
- لا تتوقف عن الدعوة بسبب قلة الاستجابة، فالهداية من الله.
- ليس عليك إلا البلاغ والعمل بالأسباب، أما النتائج فعلى الله.

سادسًا : الحرص في الدعوة

في كلمة: " ولو حرصت " إشارة إلى أن الداعية لا يكون ناقلًا فقط، بل مشفقًا محبًا.

حرص النبي ﷺ على هداية قومه كان شديدًا حتى كاد يهلك نفسه، فقال الله له :

{ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا }

فالداعية الحق :

- يحرص على الناس لا على النتائج
- يبلغ ويجتهد، ويترك الأثر لله

قصة يوسف عليه السلام لم تكن مجرد سردٍ لابتلاء وتمكين، بل مدرسة ربانية في :

- **أدب الخطاب.**
- **التوكل على الله.**
- **الصبر على البلاء.**
- **الشكر عند النعم.**
- **الثبات حتى الختام.**

وأعظم الدروس أن أمنية الأنبياء هي الموت على الإسلام، واللحاق بالصالحين ،

فيا من تُعجب بنفسك، قف قليلًا أمام قول يوسف:

{ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ }

فهذه هي أعظم الأماني.

جزاكم الله خيرا سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك